مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 545-558
ISSN:2602-5566 EISSN:2716-8999

التناول السوسيولوجي لظاهرة تعاطي وإدمان المخدرات لدى الأوساط الشبابية

A sociological approach to the phenomenon of drug abuse and addiction among youth.

جـاوت كريـــم [1*]

[1] جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، karimdjaout922@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/10/13 تاريخ القبول:2022/12/24

ملخص:

سوف نحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى ظاهرة تعاطي وإدمان المخدرات لدى الفئات الشبابية، أين أصبحت هذه الظاهرة تشكل معضلة بالنسبة للدارسين والمهتمين في الحقول المعرفية المتعددة فجاءت مقارباتهم مختلفة ومتنوعة، وعليه جاء هذا المقال ليبين التناول السوسيولوجي لهذه الظاهرة من خلال مساهمات بحثية في حقل علم الاجتماع، ترمي إلى تفسير تداخل هذه الظاهرة من عدة أوجه، وهذا ليتسنى لنا فهمها وفهم تفاعلاتها وتأثيراتها مما يمكننا من طرح بدائل وحلول فعلية لمواجهتها والتصدي لها.

كلمات مفتاحية: الانحراف، الإدمان، التعاطي، التنشئة الاجتماعية، الضوابط الاجتماعية، القيم والمعايير. المخدرات.

Abstract

Through this article, we will try to address the phenomenon of drug abuse and addiction among youth groups, where this phenomenon has become a dilemma for scholars and those interested in the various fields of knowledge, so their approaches are different and varied, and accordingly this article came to show the sociological approach to this phenomenon through research contributions in the field Sociology aims to explain the interference of this phenomenon from several aspects, so that we can understand it and understand its interactions and effects, which enables us to propose alternatives and actual solutions to confront and confront it.

Keywords: Deviance, Abuse, Socialization, Social Controls, Values and Standards.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

أضحت المجتمعات تعاني الكثير من المشاكل و الأزمات منها الحروب والأمراض و الأزمات الاقتصادية المختلفة، بالإضافة إلى المتاجرة بالأسلحة و المخدرات ، و لعل هذه الأخيرة أهمها كونها تمس الشخص في حد ذاته باعتباره الأساس لتكوين المجتمع، و تمس المجتمع نتيجة المشاكل التي تنتج عنها سواء الاقتصادية أو الاجتماعية و غيرها، و قد ساعد أتساع شبكة الاتجار بالمخدرات و المؤثرات العقلية إلى زيادة مستهلكي و مدمني هذه السموم ، و قد استفحلت جريمة استهلاك المخدرات في جميع المجتمعات مما استدعي إلى دق ناقوس الخطر لوضع حد لها من خلال دور المؤسسات و المراكز المتخصصة بعلاج المدمنين، للتقليل من هذه الجريمة و إنجاح دور التدابير العلاجية و تطبيقها في الواقع الملموس، و عوامل الخطر لتعاطي المخدرات لا يمكن أن تحصر في الأسباب الاجتماعية الاقتصادية و الثقافية فقط، بل هو مرتبط كذلك بالبنية النفسية للفرد و بما يعترضه من اضطرابات.

2- تعريف المخدرات

يعتبر تعاطي المخدرات من أكثر الظواهر النفسية الاجتماعية التي تعتمد على عدة مفاهيم، ويمكن القول أن استخدام بعض هذه المفاهيم يرتبط بالمجال الذي صدرت منه.

2-1 التعريف اللغوي للمخدرات:

و المخدر: " من اللفظ (خدر) بمعنى ستر، و خدر الأسد أي لزم عرينه، و خدرت جسمه و عظامه و أعضائه بمعنى أن المخدر يسبب السكون و الكسل، و المخدر هو المعطل للإحساس و المبدل للشعور و الإدراك، و يلاحظ هنا عدم شمول المنبهات في التعريف اللغوي" (رشاد أحمد، القاهرة، صفحة42).

2-2 تعريف تعاطي المخدرات:

يقصد بتعاطي المخدرات: "استخدام العقاقير المخدرة التي لا يسمح المجتمع بتعاطيها بقصد الحصول على تأثير جسدي أو نفسي أو عقلي". (ذياب موسى البداينة، ص 78) ، و عرف مصطفى سويف التعاطي: " هو تناول ما لا يحق و لا يجوز تناوله و بناء على ذلك لا نقول تناول فلان الدواء و لكنه تعاطى المخدر" (مصطفى سويف، ، ص 24.،) فهو استهلاك أية مادة طبيعية كانت أو مركبة و ذلك عن طريق التدخين أو البلع أو الشم أو الحقن ، و يمكن أن يتسبب الاستهلاك المتكرر لمادة مخدرة في آجال أكثر أو أقل سرعة الرغبة الملحة للاستهلاك من جديد و الحصول على المادة المخدرة بأي وسيلة، بسبب تكيف الجسم مع التأثيرات الحاصلة من المادة المخدرة، فإن الفرد يجد نفسه مجبرا على زيادة الجرعة. (Marie-Adeline, Paris, 1993, P11.)

3- تعريف الإدمان:

المدمن هو الشخص الذي يتعود على تعاطي عقار معين مثل الكحول أو المخدرات، وفي حالة التوقف عن تعاطيه يشعر بحالة من الاضطراب النفسي والجسمي، حتى يتناول جرعة من المادة

التي تعود عليها بشكل مستمر، بحيث يفقد سيطرته على المخدر سواء السيطرة في الكمية أو الوقت، ويظهر عليه الاضطراب العقلي أو الاضطراب في الصحة الجسمية والعلاقات الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية. الخ (البداينة، صفحة 79)إذن فالفرد المدمن هو الفرد الذي يتعاطى مادة أو مواد مخدرة و تحول تعاطيه إلى تبعية نفسية أو جسدية أو كليهما معا، و يمر المدمن بثلاثة مراحل هي (الرشيد ، 1992.)

1- **مرحلة ما قبل الإدمان**: وتتميز هذه المرحلة بتعاطي المخدر بالمناسبات فقط.

2- **مرحلة الإنذار بالإدمان**: وتتصف هذه المرحلة بالإسراف في تعاطي المخدرات والشعور بعدم الارتياح والتوتر في حالة نقصها.

3- **مرحلة الإدمان**: وتتميز هذه المرحلة بتبعية الفرد النفسية أو الجسدية أو كليهما معا للمخدر، وبظهور مشكلات توافق وتكيف واضحة على المتعاطي.

4- **تصنيف المخدرات:**

ليست جميع المخدرات من نوع واحد ولا من مصدرواحد، فهناك أنواع كثيرة متباينة تختلف كثيرا في مصدرها وصفاتها، فالمخدرات بأنواعها الكثيرة وفصائلها المتعددة يحمل كل منها اسما علميا خاصا بها، فضلا عن مشتقاته ومركباته المختلفة.

1 - المخدرات الطبيعية:

هي في الأصل نبات يزرع في التربة عرفه الإنسان قديما وتحتوي أوراقه أو أزهاره أو ثماره على مادة مخدرة. (الجابري 1999.)

- **نبات القنب**: أي نبات من جنس القنب، البانجو يكون على شكل أوراق وتسمى أيضا (المارجوانا أو الكامنجا أو الفولة)، ويستخرج الحشيش من القمم المزهرة لنبات القنب بعد اكتمال نموه من 4 إلى 6 أشهر تقريبا وهو عبارة عن نبات شجري يتراوح طوله بين نصف متر ومترين أحيانا أوراقه خضراء ضيقة ذات حافة منشارية وهو أحادي الجنس (عبد الغني، 2009.)

- **خشخاش الأفيون**: كل شجيرة من فصيلة الخشخاش المنوم، و تأتي على شكل أزهار تتحول إلى كبسولات يقومون بكشطها، و تنمو زراعات الخشخاش في منطقة شرق و جنوب غرب آسيا و دول آسيا الوسطى، كلومبيا، المكسيك، لبنان، و تعتبر أفغانستان أكبر منتج للأفيونيات في العالم بنسبة 93% ثم ميانمار (بورما سابقا). (فتحي عيد، 1999.)

- **القات**: هو نبات معمر يكون على شكل أوراق بيضاوية مدببة الطرف دائمة الاخضرار يزرع القات على السواحل الإفريقية المطل على المحيط الهندي وهو واسع الاستعمال في اليمن والصومال، ويستعمله ربع سكان إفريقيا تقريبا، ويؤثر القات في الجهاز العضوي لمتعاطيه مما يؤدي إلى سرعة ضربات القلب. (نبيل صقر، 2006،)

- **شجيرة الكوكا**: كل نوع من أنواع الشجيرات من جنس إريتروكسيلون، والكوكايين عقار مخدر محرم وغير مشروع يستخرج من نبات الكوكا، يمنح متعاطيه الشعور بالنشاط والخفة والطاقة والتغير والثقة والحساسية الزائدة، ويعرف هذا المخدر بأسماء أخرى منها (كوك) مشتق من كوكايين، و(سنو) مشتق من اللون، ويتم تعاطيه عادة عن طريق الشم، أو التدخين، وفي بعض الأحيان عن طريق الحقن مع خلطه ببعض المواد المخدرة الأخرى كالهيروين.

2- المخدرات النصف تخليقية (التصنيعية):

تستخلص من المخدرات الطبيعية، حيث تدخل في هذه الأخيرة كمادة رئيسية ثم تجري عليها عمليات كيميائية بسيطة، والتي تكون المادة الناتجة من التفاعل ذات تأثير أقوى فعالية من المادة الأصلية.

- **الكوديين:** مخدر مشتق من المورفين يعمل على تهبيط الجهاز العصبي المركزي، و الكوديين قابل للإدمان إذا استخدم بصفة مستمرة لفترة زمنية طويلة.

- **الهيروين:** والهيروين من أخطر مشتقات الأفيون والذي يكون على أشكال وألوان كثيرة.

- **المورفين:** يستخرج مباشرة من النبات المحصود الذي يسمى (قش الخشخاش) و يمكن الحصول عليه بطريقة الترشيح، يكون على هيئة مسحوق ناعم الملمس أو على شكل مكعبات، و يعتبر أقوى مسكنا للألم (شتوان، ، الجزائر، 2010، صفحة 03).

- **الكراك:** وهو من منشطات الجهاز العصبي المركزي للإنسان، يوجد على شكل بلورات بنية اللون يصنع عن طريق تحويل مخدر الكوكايين إلى كوكايين خالص عن طريق الإذابة في الماء ثم التسخين مع مادة كيميائية قوية المفعول مثل بيكربونات الصوديوم، وبذلك يعتبر الكراك أحدث مادة تم الحصول عليها من نبات الكوكا ويعتبر أكثر نقاوة من الكوكايين وهو أشد أثرا (عبد الغني، 1997،).

3_ المواد التخليقية: (المؤثرات العقلية الميثامفيتامينات والمهلوسات):

هي مواد ليست من أصل نباتي ولم تكن معروفة حتى عام 1946 م، عندما اكتشف عقار جديد في ألمانيا لتسكين الألم بديلا لمستخلصات الأفيون، فهي مواد تنتج من تفاعلات كيميائية معقدة بين التركيبات الكيميائية المختلفة، ويتم ذلك بمعامل شركات الأدوية أو بمعامل مراكز البحوث وليست من أصل نباتي.

1-3 المهلوسات: المهلوسات هي المواد التي تؤدي إلى عدم اتزان في العقل، فتحدث تصورات وتخيلات وأحلام و هلاوس بصرية أو سمعية أو شمية أو جميعها.

- **الماكستون فورت:** ويصنع من الإيفيدرين.

الإكستازي XTC : عقار النشوة، و يسمى **MDMA**، يعني ميثيل دايوكسي ميثامفيتامين، و هو نوع من أنواع المنشطات له تأثير نفسي و هو مشتق كيميائيا من السلائف التي يشتق منها

الأمفيتامين و قد صنه لأول مرة سنة 1912 من طرف المخبر الألماني **ميرك** و تعود شهرة الإكستازي إلى العالم الكيميائي الأمريكي **اليكساندر شلجين**.

3-2 العقاقير: هي المواد التي تؤثر بحكم طبيعتها الكيميائية على بنية الجسم ووظائفه، ولمفهوم العقار بعد ثقافي اجتماعي، والتصنيفات المختلفة للعقاقير إنما هي مصطنعة وغير ناتجة عن كينونة العقار ذاته، فالعقار أي مادة من غير الطعام والتي تنتج من غير خواصها الكيميائية أو الطبيعية الفيزيائية بناء على وظيفة في العضوية الحية، فنجد أن بعض العقاقير ذات تأثير قوي وبعضها لا تأثير له، بعضها ذو تأثيرات نفسية وبعضها ليس كذلك، بعضها ذو نفع طبي وبعضها ليس له استخدام طبي (زيد، بدون سنة..)

3-4 المنومات والمهدئات: هي المواد التي تنتمي إلى مجموعة المواد الكيميائية المصنعة، التي تؤدي إلى الهدوء والسكينة أو النعاس، وتستخدم في الأغراض الطبية كعلاج لحالات الصداع والأرق، أو للتخدير العام للجسم أثناء بعض العمليات الجراحية، والمهدئات لا تؤثر على المخ بكامله بل يقتصر تأثيرها على أجزاء معينة من المخ، خاصة تلك التي لها علاقة بالانفعالات ووظائف الأحشاء، كالتنفس والقلب والغدد الصماء، وهي في الأصل أدوية لمعالجة القلق وحالات الاكتئاب فهي تهدئ الجهاز العصبي (ملويا، 2010،)

3-5 المثبطات: وهي المواد التي تحدث بطئا أو نقصانا في وظائف الجهاز العصبي المركزي، ما يؤدي إلى بطء ونقصان في بعض الوظائف الأخرى في الجسم، كالبطء في التفكير وفي الكلام، وكسل في الحركات واسترخاء العضلات، وهزال عام، وضعف التنفس، وانخفاض في ضغط الدم، فيشعر المتعاطي أو المدمن بالخمول أو النعاس أو النوم، وتستعمل كأدوية نفسانية لتخفيف المزاج واضطرابات العقل.

3-6 المنبهات والمنشطات: المنبهات عكس المثبطات، حيث أن المنبهات تؤدي إلى زيادة وظائف الجهاز العصبي المركزي ما ينتج عنه سرعة، أو زيادة في بعض وظائف الجسم الأخرى، فتؤدي إلى السهر والنشاط الزائد، واشتداد العضلات وسرعة في الكلام والحركة، مع زيادة في التنفس وارتفاع في ضغط الدم، وإذا أعطيت للإنسان بالمقادير المسموح بها طبيا تزيد من نشاط الجملة العصبية وذلك بتضخيم المؤثرات العصبية المتجهة إلى المخ

3-7 المذيبات الطيارة: هي المواد التي تحتوى على هيدروكربون (فحوم مائية)، و تؤثر على المخ و الكبد و الرئتين، و يتم تعاطيها عادة عن طريق الاستنشاق، فتحدث استرخاء و دوخة، و في بعض الأحيان هلاوس (البداينة ، 2012..)

5- تفسير ظاهرة تعاطي المخدرات عند الشباب:

و تنوعت تفسيرات تعاطي المخدرات بتنوع العلوم التي درست هذه المشكلة، فنجد منها تفسيرات طبية و صيدلانية (دوائية أو كيميائية)، و فيزيولوجية، و نفسية و اجتماعية، كما نجد أن بعض التفسيرات قد ركزت على العقار نفسه، من حيث مكوناته و الصفات الكيميائية لهذه

المكونات و تأثيرها على الجهاز العصبي المركزي و الحبل الشوكي، في حين ركزت تفسيرات أخرى على ردود فعل الجسم البيولوجية إزاء العقاقير المخدرة، كما ركزت تفسيرات أخرى على التأثير الذي تتركه المخدرات على العمليات النفسية للفرد، و الأسباب التي تجعل بعض الأفراد دون غيرهم يقبلون استعمالها دون غيرهم، حيث ربط بعض الدارسين (المدرسة الفرويدية) بين خبرات الطفولة المبكرة و بين السلوك الإنساني، و تنظر التفسيرات الاجتماعية إلى تعاطي المخدرات على انه سلوك منحرف، أما عن كيفية تعلم هذا السلوك فهناك عدد من التفسيرات لذلك (البداينة ، 2012،)

أولا: التفسير النفسي يرى أصحاب هذا الاتجاه أن ظاهرة الانحراف المؤدية إلى سلوك الإدمان تقوم على أساسين هما: (زيدي ناصر الدين، 2004،).

الأساس الأول: يتمثل في صراعات نفسية، ترجع إلى الحاجة إلى الإشباع العضوي والحاجة إلى الأمن وإلى إثبات وتأكيدها فيعكس سلوك التعاطي، وتكراره بالنسبة لأصحاب هذه النظرية الفشل في حل هذه الصراعات والفشل في إشباع الحاجات المذكورة.

الأساس الثاني: يتمثل في الآثار الكيميائية للمخدر، وهو يميز مدمني المخدرات عن غيرهم وبالتالي فإن الأصل في الإدمان وطبيعته بحسب هذه النظرية، يرجع إلى التركيب النفسي للمريض الذي يحدث حالة الاستعداد، ومن ثمة الدور الذي تلعبه آثار المخدر الكيميائية وخواصه.

ثانيا: السلوك المتعلم: إن سلوك تعاطي المخدرات سلوك متعلم، يتم تعلمه بالطريقة نفسها التي يتم فيها تعلم السلوكيات الأخرى (المقبولة اجتماعيا)، من خلال التفاعل مع الآخرين (الأصدقاء أو المتعاطين)، والدرجة التي تحدد تعاطي الفرد (انحرافه) عن امتثاله للأعراف الاجتماعية، تعتمد على مقدار تفاعله مع مجموعة الأفراد المتمثلين أو الأفراد المنحرفين (المتعاطين)، فإذا كانت محصلة التفاعل تميل لمصلحة المتمثلين للأعراف الاجتماعية فيتوقع امتثال الفرد والعكس صحيح.

ثالثا: الظروف الاقتصادية- الاجتماعية: هناك من يفسر ظاهرة تعاطي المخدرات أن الظروف الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية الصعبة التي يمر بها المجتمع قد تدفع (و تضغط) على الفرد نحو تعاطي المخدرات (استعمالها أو الاتجار بها)، ففي مثل هذه الحالات تسد المنافذ الاجتماعية المقبولة في وجه الشباب لتحقيق أهدافهم المقبولة اجتماعيا، ما يدفعهم إلى اللجوء إلى أساليب الاتجار بالمخدرات للحصول على الثراء، و تعاطيها للهرب من الضغوط الحياتية، و قد تسوء الحالة الاجتماعية في المجتمع لا يعود الفرد بموجبها قادرا على تمييز الصحيح من الخطأ (فقدان المعايير الاجتماعية)، و كنتيجة لذلك لا يميز الفرد بين ما هو مقبول اجتماعيا و ما هو غير مقبول (روبنة ، 2002،)

رابعا: دور التنشئة الاجتماعية: هناك تفسيرات تركز على أهمية دور التنشئة الاجتماعية في تحصين الفرد ضد الانحراف، وتقوية الرابط بين الفرد والمجتمع من خلال تقوية إيمانه بالقيم

والمعتقدات الاجتماعية كما، إن دراسات عديدة أثبتت أن هذه الاضطرابات الأسرية تعود إلى أسباب تتعلق (عبد الرحمن العيسوي،2002.)

أ- **الوالدين**: الخلاف، الزواج الغير موفق، الخيانة الزوجية، عدم التكافؤ بينهما ثقافيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا، الانفصال أو الطلاق أو الهجر، أو الزواج الثاني أو التضارب في الاهتمامات.

ب- **الوالدين و الطفل**: فرض القوانين الجامدة، سوء استقبال الطفل أو سوء المعاملة، وهناك ارتباط بين الانحرافات السلوكية عند المراهق و دينامية الحياة الأسرية عند الأهل، أي أن الأزمات التي تطبع علاقة الأهل فيما بينهم تستثير مجموعة من ردات الفعل الرافضة و الإنحرافية و الهامشية من قبل الأبناء، و هذا كله يظهر على شكل معاناة صامتة أو ناطقة.

6- الفرصة في سلوك تعاطي المخدرات:

تقوم النظرية العامة في السلوك الطائش في تفسير سلوك التعاطي، على فرضية عامة مؤداها أن الفرد قد يتورط في السلوك المنحرف إذا أتيحت له الفرصة لذلك، حيث تؤكد النظرية العامة في السلوك الطائش **لجتفردسون و هيرشي (GOTTFREDSON & HIRSHI)**، أن احتمالية انخراط الأفراد في فعل منحرف تحدث بسبب وجود الفرصة، مع توفر سمة شخصية أو سمات الضبط الذاتي المنخفض، و قد عرف كل من **جوتفردسون و هيرشي** السلوك الطائش بأنه:" كل فعل يقوم على القوة و الخداع لتحقيق الرغبات الذاتية" (,1990 , ,Gottfredson).

إن توفر صفة الضبط الذاتي المنخفض مع وجود الفرصة لارتكاب السلوك الطائش يعدان عاملين مؤثرين في ارتكاب سلوك التعاطي، فتأثير هذين العاملين يكون نتيجة لاتحادهما، و التفاعل بينهما هو المؤدي للسلوك المنحرف، و الاختلاف بين المجرمين و غيرهم يعود إلى الاختلاف في مستوى ضبط الذات، ونقص ضبط الذات هو نتاج للتنشئة الاجتماعية الناقصة حيث يفشل الآباء في مراقبة الطفل عندما يقترف سلوكا منحرفا، و عندما يتكون الضبط الذاتي في المراحل الأولى عند الأفراد، فإن الاختلافات في ضبط الذات تبقى ثابتة بشكل معقول من الوقت التي تم تحديدها عبر أطوار الحياة غير متأثر بالمؤسسات الاجتماعية، والسلوك الطائش لا يختلف عن أي خيارات سلوكية، فالناس يرتكبون الجرائم والأفعال المحرمة الأخرى لأن تقييمهم الذاتي للمنفعة التي يجنونها يفوق الثمن الذي يدفعونه، فسلوك تعاطي المخدرات ببساطة فعل يعكس الميل الطبيعي للإنسان لاختيار المتعة الشخصية و ليس الألم، فالسلوك الطائش تعبير عن الاهتمام الشخصي، و المنفعة هي الإشباع الفوري و المتعة، و الثمن (الكلفة) هو النتائج السلبية لهذه الأفعال، و تعتمد الحسابات على الإدراك و الاهتمام بالنتائج بالنسبة للشخص و للآخرين، و يرتبط تقييم الثمن مباشرة مع الضمير و مستوى ضبط الذات (البداينة، ،2012.)

إن التكاليف أو النتائج النسبية لهذه الأفعال أقل أهمية بالنسبة لهؤلاء الذين لم يطوروا قدرا كافيا من ضبط الذات، و يفشل الشخص المتهور أو قصير النظر في أخذ النتائج السلبية المؤلمة لأفعاله بالحسبان حيث إنه كلما قل ذكاء الشخص تقل النتائج السلبية التي تؤخذ بالحسبان من

قبله، و تقترح النظرية، أن التنشئة الاجتماعية الكاملة ينتج عنها ضبط ذاتي مرتفع (يوجد علاقة إيجابية بين التنشئة الأسرية و ضبط الذات)، و من غير المحتمل أن يرتكب ذووا الضبط الذاتي المرتفع أفعالا إجرامية خلال حياتهم، و أن التنشئة الناقصة ينتج عنها ضبط ذاتي منخفض، و بالتالي فإن ذوي ضبط الذاتي المنخفض يحتمل ميلهم إلى الأفعال الإجرامية (Gottfredson 1999.)

7- أسباب تعاطي الشباب للمخدرات:

السبب بوجه عام هو القوة الدافعة التي لولاها لما حدثت النتيجة، إلا أن السبب لا يكون عاملا واحدا بل يتضمن مجموعة العوامل التي تعد جزءا من السبب، وبعد تفسيرنا لظاهرة التعاطي عند الشباب الذي يعد من أكثر القطاعات المستهدفة من الاتجار بالمخدرات سنتطرق لأسباب هذه الظاهرة و منها، الحجم الكبير نسبيا الذي تشكله هذه الشريحة في المجتمع، حيث يشكل سوقا للمخدرات يمكن الاعتماد عليه و خاصة إذا ما علمنا درجة سهولة الوصول إليه، ووجود عوامل أخرى مسهلة في التعامل معه، كما أن تشكل مرحلة الشباب مرحلة عدم استقرار وأزمة، فمن بين الأسباب التي تجعل الأفراد و بخاصة الشباب يتعاطون المخدرات ضغوط الحياة وكثرة الأزمات النفسية و الاجتماعية والاقتصادية التي يتعرضون لها، و عدم وجود تدريب سابق للتعامل مع هذه المشكلات، وسد القنوات التي تمكن الشباب من التعامل معها، ما يجعلهم يبحثون عن مصادر حلول تتمثل في هروبهم من أزماتهم و الاختباء وراء المتعة المؤقتة للمخدرات، و بالتالي يسهل اختراقها بالإضافة إلى نزعة الشباب إلى البحث عن اللذة و المتعة و بخاصة في غياب التنشئة الاجتماعية و التربوية السليمة، ما قد يدفع الشباب إلى تجريب كل ما هو جديد بقصد فحص آثاره و من قبيل الظهور أمام الرفاق بمظهر التميز كما أن المعتقدات الخاطئة لدى الشباب، والتي تستثمر من قبل مروجي المخدرات فكثيرا ما تشيع أفكارا ومعتقدات غير صحيحة من الناحيتين العلمية والموضوعية حول المخدرات بأنواعها المختلفة، والهدف من إشاعة مثل هذه المعتقدات جذب الشباب إليها بقصد تجربتها و الاعتماد عليها، حيث تنشر عصابات المخدرات معلومات عن بعض المخدرات و ارتباطها بإطالة اللذة الجنسية .

انتشار الظاهرة و توزعها الاجتماعي:

وإذا ما تأملنا في العوامل و الظروف التي تقود إلى انتشار الظاهرة و توزعها الاجتماعي لوجدناها لا تختلف كثيرا عن العوامل و الظروف السيئة التي يعاني منها الفرد في ثنايا عملية التنشئة الاجتماعية، تلك العملية التي يفترض أن يمتص الفرد من خلالها القيم و المثل العليا والعادات والتقاليد والأعراف التي يرتضيها الدين و المجتمع، و يتعلم أنماط السلوك المقبول في المجتمع، فالعوامل غير المؤتية في نشأة الفرد و المحيطة بظروفه الاجتماعية و الأسرية والاقتصادية و العملية قد تدفع إلى الانحراف والإدمان و الجريمة، وقد أظهرت دراسة **رشاد عبد اللطيف** بعض العوامل الاجتماعية المساعدة على انتشار و توزع هذه الظاهرة والتي من أبرزها: (رشاد أحمد،

1992،.) عدم وجود رقابة من قبل الوالدين وتعاطي أحد أفراد الأسرة للمخدرات مع القسوة في المعاملة وعدم التزام أحد الوالدين بالواجبات الدينية كما أن انشغال الوالدين في الأعمال الخاصة والتدليل الزائد في المعاملة بالإضافة انفصال الوالدين بالطلاق وزواج الوالد بأكثر من إمرة ووفاة أحد الوالدين والتقليد والمسايرة. إشاعة جو المرح ونسيان المشكلات والهموم، ويساهم انتشار الإنترنت في العالم وزيادة حجم المستخدمين لها واستعمالها كآلة لنشر معلومات ووسيط فيه التفاعل بين الأفراد ونقل المعلومات دون مانع ولا حدود من الجغرافيا، في تسهيل تواصل الأفراد ونقل المعلومات و التقنيات و الجريمة و المخدرات العابرة للحدود الوطنية، (البيادنة، 2012.)

8- مخاطر تعاطي المخدرات وأضرارها:

المخدرات لعنة تصيب الفرد وكارثة تحل بأسرته وآفة تلحق بوطنه فتهدر كيانه الاقتصادي وبنيانه الاجتماعي، فتعاطي المخدرات عامل غير مباشر في الجريمة والتدهور الاجتماعي والأخلاقي، وإذا لم يكن تعاطي المخدر هو السبب المباشر في خلق الجريمة فإن هناك علاقة وثيقة بينه وبين التدهور والانحلال الاجتماعي والخلقي بصفة عامة والذي يؤدي إلى الجريمة (سعد المغربي، 1984،)

1/ آثاره الصحية: الميل نحو سوء استخدام العقاقير إذا ما اعتاد المدمن على تعاطيها و إذا حرم منها، شعر باشتياق نفسي شديد لها كما يشعر بالتوتر أو الاكتئاب، أما الإدمان الجسمي فيعني أن الجسم يعتاد على تناول العقار بعد الاستعمال المستمر له و عندما يتعود الجسم عليه يصبح على المريض أن يتناول جرعات متزايدة ليحدث نفس الأمر الذي كانت تحدثه الجرعة الصغيرة، و يعاني المريض من مجموعة من الآلام إذا حرم من العقار تعرف باسم (مجموعة أعراض الامتناع أو الانسحاب)، كما يحدث في حالة تعاطي المورفين و الهيروين و الكحول (العيسوي ، 1999)، وأثبت العلم الحديث أن تعاطي المخدرات يؤثر سلبا من الناحية البدنية و النفسية و العقلية .

3/ آثاره الاقتصادية: و يظهر كذلك في كل ما تنفقه الدولة رسميا لمكافحة كل ما من شأنه أن يعمل على توافر المواد الإدمانية غير المشروعة في السوق، و يندرج في هذا جزء كبير من ميزانية وزارة الداخلية و هو يشمل ميزانية الإدارة العامة لمكافحة المخدرات و جزء من ميزانية الأمن العمومي و الجزء المماثل من ميزانية مصلحة السجون و كذلك وزارة الدفاع، و من خلالها يقوم حراس الحدود و السواحل بمكافحة التهريب، و في المقابل نجد وزارة العدل التي تساهم من ميزانيتها في تغطية أشغال آليات السلطات القضائية بقضايا المخدرات، و كذلك مجموع الخدمات الطبية و التقنية و الاجتماعية التي تقدم العلاج فيما يخص التعاطي و الإدمان. (فيروزي، 2014.)

4/ آثاره النفسية: في هذا المجال يمكننا الإشارة إلى التحليل النفسي الذي أشار إليه عدد من الباحثين للانحراف و الإدمان، بحيث تم إبراز الحرمان العاطفي من قبل الأسر و دوره في تشكيل الشخصية، والإنسان عندما يكون واقعا تحت تأثير المخدرات فإنه يخضع لكثير من الأوهام والتهيؤات التي تصور له أشياء لا وجود لها في عالم الحقيقة و لكنه خيال المريض المشوش الذي

نتج عن تعاطي المخدر و استبداده بالمريض (راجح، 1999)، و لذلك لم يكن غريبا أن يتبين الطب العقلي ما يعرف باسم **"جنون الإدمان" و"جنون الاضطهاد"** و أن يصف الهلاوس و الخيالات والأصوات و المرئيات التي يراها المدمن كأنها حقيقة واقعة، و هي ليست كذلك، فهو يحيل الإنسان إلى بهيمة فاقد الوعي و العقل و الإدراك و التمييز بين الصواب و الخطأ، بل يعجز عن تمييز المسافات و الأطوال و الألوان و الأصوات . كما يؤدي إلى ظهور الأمراض النفسية والسلوكية، فتكون نتيجة لتأثير عوامل البيئة والوسط الاجتماعي الذي يتحرك ضمنه الفرد في صياغة شخصيته وفي خلال نموها، فنوع التربية ونوع التنشئة التي يخضع لها الفرد والضغوط والمطالب الصادرة عن البيئة، كلها تؤثر في عملية التوافق النفسي وفي مستوى هذا التوافق يمكن التعرف على الأسباب الكامنة. (العيسوي، 1999.)

5/ آثاره الاجتماعية: تؤثر المخدرات على سلوك من يتعاطاها بطريق آخر من طرق التقليد، فغالبا ما يتجمع المدمنون في جماعات متشابهة و متجانسة من أهل الشذوذ، و يؤدي الانخراط مع هذه الجماعات إلى نتائج خطيرة عن طريق التقليد و المحاكاة، فالإنسان بطبعه يميل إلى تقليد من يعاشرهم و يخالطهم و يتأثر بهم، سواء كان ذلك بطريقة شعورية أو بطريقة غير شعورية، و يظهر هذا التأثير بصورة واضحة في حالة أقران السوء من شلل الشبان و المراهقين، حيث يؤدي انخراط الشاب السوي في مثل هذه الجماعات السيئة إلى أن يقلدهم و يتمثل بهم و يتخذ منهم قدوة ومثالا سيئا (زهران، 1977.)

6/ آثاره على السلوك الإجرامي: الصلة وثيقة و لا شك بين السلوك الإجرامي و إدمان المخدرات، ذلك لأن كلاهما نمط من أنماط الانحراف والخروج على الشرعة و على القانون و العرف والتقاليد و القيم و المثل و الأخلاق، وجميعهم لون من ألوان الشذوذ و كلاهما منكر منهى عنه، وكلاهما كبيرة من الكبائر و فاحشة من الفواح، ومن الأدلة الإحصائية و الجنائية يتضح أن الإدمان يمثل عاملا سببيا لبعض الجرائم كالسرقة وغيرها، و لكن الجريمة نفسها وغيرها من مظاهر السلوك الإنحرافي قد تقود إلى الإدمان، فالتورط في جريمة ما قد يدفع المجرم إلى التعاطي بدعوى الرغبة في نسيان الفرد المجرم مأساته، و لكن الإدمان بدلا من أن ينسيه مأساته تضيف إليه مأساة جديدة و تزيد عنده الشعور بالاكتئاب و الحزن و ضعف الروح المعنوية، كذلك فإن الجرائم كالتشرد أو لعب القمار قد تؤدي إلى إدمان المخدرات بحكم الاختلاط مع جماعة الشرب الذين هم أيضا من المجرمين، والعنف في العلاقات بين المدمنين و تجار المخدرات و موزعيها من أجل السيطرة على أسواق الاتجار غير المشروع و تحويل المدمنين إلى توزيع المخدرات و الاتجار بها (عبد الغني، 1999)، فالعلاقة بين الإدمان و الجريمة هي علاقة سببية دائرية بمعنى أن الإدمان يقود إلى الجريمة، و الجريمة بدورها تقود إلى مزيد من الإدمان، و لذلك كان من الضروري في وضع برامج رعاية هؤلاء أن تكون هذه الرعاية شاملة لكافة مظاهر الانحراف سواء ما كان في شكل إدمان أو جريمة ، فالمؤسسات التربوية ينبغي أن تتصدى لقضايا العنف و التطرف باعتبارها قضايا تربوية،

و بالمثل فإن أجهزة الإعلام و الثقافة الجماهيرية يتعين عليها أن تقوم بدور إيجابي و فعال في توجيه الشخصية العربية و صقل مقوماتها و تربيتها على حسن المواطنة الصالحة و على الطاعة و الانضباط و الاعتدال، و على رجال الدين و الوعظ و الإرشاد تقع مسؤولية الإرشاد الواعي و تطهير أذهان الشباب من الشوائب و الخبائث و غرس مبادئ الهدى الإسلامي (العيسوي، 2006.)

8- المخدرات مشكلة اجتماعية:

يعرف **هارت** المشكلة الاجتماعية بأنها: " أية مشكلة تؤثر فعليا أو بدرجة كافية في عدد كبير من الأفراد بطريقة عامة، حيث يمكن التعامل معها بشكل كلي، لا بطريقة فردية (وفق كل فرد) وتتطلب فعلا اجتماعيا منظما، ومركزا حول تلك المشكلة". أما (**وليامسون و بورين و ايفانس)** فيعرفون المشكلة الاجتماعية بأنها: "ظرف غير مرغوب فيه من منظور العديد من الأفراد، و هذا الظرف يؤثر في العديد من الأفراد، كذلك ما يجعلهم يشعرون أنهم بحاجة إلى فعل اجتماعي جمعي إزاء ذلك الظرف ، إن مشكلة المخدرات و استعمال العقاقير و المواد المخدرة مرتبطة بمشكلات اجتماعية و ثقافية ليس من المتوقع تغييرها في هذا القرن، و الجهود الهادفة للضبط الاجتماعي للمخدرات مثل خفض العرض و إزالة المشكلة الاقتصادية و الاجتماعية، و وضع عقوبات شديدة على الاستخدام ذات تأثير معين قد يخفف عدد المستخدمين، أما التأثير القوي على استعمال المخدرات فيأتي نتيجة تغيير اجتماعي كبير، و البحث الدولي عن حلول لمشكلة المخدرات و الدعوة لتضافر الجهود تعكسها كلمة (**جورجيو جياك ميللي)** أمام لجنة المخدرات في دورتها الخامسة والثلاثين 1992، حيث قال: " لقد أصبحت الحالة اليوم خطيرة حقا و أعتقد للمرة الأولى أننا لا نغفل إمكانية استبعاد أن نخسر الحرب (على المخدرات) كليا، ما لم تبرهن الدول على إرادة حقيقية وراسخة و دائمة في كسب هذه الحرب، و نحن نشهد الانتشار المتفجر لزراعة القنب واستخدامه، كما أن الهيروين موجود في كل مكان وبخاصة في المدن الصناعية الكبرى، ومدن العالم الثالث، إذ بدأ هذا السرطان يفتك بها، وبلغ فيها انعدام الأمن مستوى لم يسبق له نظير، وارتفع عدد الوفيات بسبب تعاطي جرعات مفرطة من المخدرات خلال عام 1990"، والإحصائيات الصادرة عن المؤسسة الرسمية المتكفلة برسم سياسات مكافحة المخدرات في الجزائر المتمثلة في الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها تؤكد أن المخدرات الأكثر استهلاكا في الجزائر هي القنب والمؤثرات العقلية. ويكمن المشكل الأساس في الظاهرة فيا يلي:(البداينة، 2012.)

- يكمن في إيذاء المخدرات لقطاع كبير ومهم من السكان ألا وهو قطاع الشباب، وإحداث مآس اجتماعية اقتصادية في مجتمع فتي، يشكل عنصر الشباب فيه نسبة كبيرة ومهمة.

- مشكلة المخدرات لا تنتهي بسن الأنظمة و التشريعات الصارمة ضد المتعاملين و المتعاطين لها، أو بالحملات الوقائية و التثقيفية أو بإنشاء البرامج العلاجية، حيث لا يوجد سبب واحد و لا علاج واحد للمخدرات، إن إحدى مشاكل التعامل مع المخدرات هي إهمال العوامل

النفسية و الاجتماعية الدافعة للتعاطي، و العوامل المحيطة التي يتم فيها تعاطي المخدرات، والتركيز على تقنيات و أساليب تقليدية قائمة على إزالة السمية من بدن المتعاطي بواسطة السحب التدريجي، و التغطية بأدوية نفسية تساعد في حماية المتعاطي من آثار الانسحاب المفاجئ للمخدر. (عبد الرحمان 1991)

– لا توجد خصائص شخصية معينة لمدمنين قبل الإدمان، فجميع أنماط الشخصيات قد تتعاطى المخدرات تحت ظروف مختلفة.

– أهمية عنصر الشباب في المجتمع وخطورة انغماسه في تعاطي المخدرات، فمرحلة الشباب كما هو معلوم مرحلة عدم استقرار نفسي واجتماعي، ينزع فيها الفرد إلى حب الاستكشاف والتجريب وإلى التأثر بالآخرين وحب تقليدهم، وتكثر في هذه المرحلة الأزمات النفسية والاجتماعية التي قد يعجز الفرد عن تخطيها واللجوء إلى المخدرات حلا لهذه الأزمات ومحاولة الهروب منها.

انتشار الإنترنت وانتشار استخدامها بين شرائح كثيرة في المجتمع، وامتلاك الإنترنت لخصائص جاذبة للشباب ما يجعلها أداة مزدوجة الاستعمال الوقاية ونشر سلوك التعاطي (البداينة، 2012)

10- السياق الاجتماعي لاستعمال المخدرات:

من خلال تحليل **جاروفالو** لعواطف المجتمع التي تثار من خلال تصرفات إنسان ما أدرك وخرج بنوعين من الجريمة هما: (عدلي السمري، 2002.)

الجريمة الطبيعية: وهي تمثل السلوك غير الأخلاقي الضار الذي ينطوي على إزدراء المجتمع والمساس بمشاعره الخلقية التي تتمثل في تقديس الأمانة والشعور بالعطف على الآخرين، وتعاقب جميع الشرائع مرتكبي هذه الجريمة بحكم منافاتها لمشاعر الخير والعدالة والفضيلة والقيم.

الجريمة المصطنعة: و هي التي لا تتفق على تجريمها القوانين المختلفة لأنها تتوقف على لنظام السياسي و الاجتماعي السائد في كل دولة على حدة و الجرائم المصطنعة هي تلك الجرائم التي تحدث ضد (العواطف غير الثابتة) أي العواطف القابلة للتحرر، كالعواطف الدينية و الجريمة السياسية و يعطي **جاروفالو** عناية خاصة للجريمة الطبيعية لأنها تمس واجب الأمانة ، و يقصد بالسياق الاجتماعي لاستعمال المخدرات تلك المعاني المشتركة اجتماعيا و الشائعة في مجتمع ما حول مخدر ما، و يشمل كذلك التصورات و المفاهيم التي يتوقعها الفرد من نفسه و من الآخرين عند استخدامه لمخدر ما، و يشمل السياق الاجتماعي الثقافة الاجتماعية العامة بما فيها من نظام قيم و معتقدات اجتماعية و دينية واتجاهات نحو المخدرات، و يشمل المناخ الاجتماعي و الحالة المزاجية للفرد بما يحويه من مؤثرات المكان الذي يتم فيه تنال المخدر، و المشاركين في التناول (الأصدقاء)، فمثلا: قد يجد المراهق في مجتمعه أن التدخين صفة تلازم الصفات الذكرية، و بالتالي فإن المدخن هو (الرجل).و المخدر يحدث أثرا ما و على المستخدم أن يمر بالخبرة التي يحدثها هذا

الأثر، بالإضافة إلى ما يحمله المستخدم من توقعات عن أثر ذلك المخدر. والسياق الاجتماعي من أقوي المحددات لماهية ذلك العقار وما يفعله للمستخدم (تناول العقار في المستشفى يختلف عن تناوله مع الأصدقاء) (البداينة،2012)

مشكلة تعاطي المخدرات وآليات المكافحة:

كانت دراسة المشكلات الاجتماعية منذ زمن بعيد واحدة من الاهتمامات المحورية في علم الاجتماع، غير أن التزام علماء الاجتماع بمهمة تطوير هذا العلم قد أضعف إلى حد كبير من انشغالاتهم بالبحث في هذا الركام الضخم من المشكلات الاجتماعية، و كان البحث حول الجريمة و الانحراف دائما مصدر انشغال و الاختلاف بين علماء الاجتماع، حيث بين الانشغال حول ما يتركه من انعكاسات على دعم الإصلاح و التغير في المجتمع، و الرغبة في إقامة علم اجتماع علمي يجري بحوثا غير متحيزة و متحررة من أحكام القيمة، و هو أمر يصعب تحقيقه عند التركيز على المشكلات الاجتماعية في الواقع (جبلي، 2007).، و دراسة السلوك الإنحرافي تضرب بجذورها في الاهتمام المستمر بمشكلات الامتثال و الضبط الاجتماعي، و ذلك قبل أن يستقر مفهوم المشكلات الاجتماعية بين مجموع المفاهيم التي يستعين بها علماء الاجتماع في هذا الصدد .

10- الخاتمة

يعد الإدمان وتعاطي المخدرات من مشكلات انحراف السلوك الاجتماعي عن القواعد التي حددها المجتمع، طالما أن هذه القواعد تضع معايير معينة يكون الانحراف عنها مؤديا إلى رد فعل واضح من الجماعة، لذا فالمشكلة الاجتماعية تظهر حينما ينحرف بعض أفراد المجتمع عن القيم والمعايير السائدة فيه.

وشغلت مشكلة الانحراف و تعاطي الشباب للمخدرات بال الباحثين في محاولاتهم لمعرفة أبعاد هذه الظاهرة ومدى ما تشغله من حيز في المجتمع، برصد حركتها ورسم خارطة بارزة عن مدى انتشارها وسماتها العامة على حسب التغيرات والتحولات المعاصرة، فالانحراف و سلوك التعاطي ليس خاصية ذاتية من خصائص السلوك، وإنما هو خاصية تشير إلى مستوى تقييم خارجي تعود مقاييس الحكم فيها أساسا إلى المعايير الاجتماعية، وباختصار فإن السلوك المنحرف يتم تعريفه اجتماعيا باعتباره مشكلة وذلك من قبل المجتمع كله ومن قبل تلك القطاعات أو الجماعات التي تواجهه.

قائمة المراجع

أولا المراجع باللغة العربية

1. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت، لبنان، 1997
2. إيمان محمد علي الجابري، خطورة المخدرات ومواجهتها تشريعيا، منشأة المعارف، مصر، 1999
3. عبد اللطيف رشاد أحمد، الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض 1992.

4. العشماوي السيد متولي، الجوانب الاجتماعية لظاهرة الإدمان، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1993.
5. ذياب موسى البداينة، الشباب والانترنيت والمخدرات، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2012.
6. سمير محمد عبد الغني، المخدرات والمواد المخدرة، دار الكتب القانونية، مصر 2006
7. محمد فتحي عيد، المخدرات والمؤثرات العقلية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 2012
8. نبيل صقر، جرائم المخدرات في التشريع الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2006،
9. بلقاسم عمار شتوان، تعاطي المخدرات والإدمان – الماهية، الخلفية، التطور-، المادة العلمية لندوة حماية الشباب من المخدرات، منظمة من طرف جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الجزائر، 22-23 فيفيري 2010،
10. محمد إبراهيم زيد، التنظيم التشريعي للمخدرات في الدول العربية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، بدون سنة،
11. زيدي ناصر الدين، الأسباب النفسية و الاجتماعية للإدمان، فعاليات الملتقى الوطني التكويني حول الوقاية من المخدرات في الوسط المدرسي، الديوان الوطني لمكافحة المخدرات و إدمانها، الجزائر، 2004،.
12. عبد الرحمان العيساوي سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الكتب، القاهرة 2004
13. سعد المغربي، ظاهرة تعاطي الحشيش، دراسة نفسية اجتماعية، دار الراتب الجامعية، ط 2، لبنان، 1984،
14. بلقاسم، غلاب طارق، المخدرات مؤشرات الاجتياح، موفم للنشر، الجزائر، 2015،.
15. محمد الشريف فيروز، ارتباط المخدرات والإرهاب، المدرسة العليا للقضاء، الجزائر، 2014
16. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت، لبنان،.
17. حامد زهران، علم نفس النمو، الطفولة و المراهقة، عالم الكتب، القاهرة، 1977،.
18. علي عبد الرازق جبلي، العنف والجريمة المنظمة، دراسات في المشكلات الإجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007
19. مراد فاروق عبد الرحمان، دور الرعاية الصحية في علاج مشكلة تعاطي المخدرات و المؤثرات العقلية، المركز العربي للدراسات الأمنية و التدريب، الرياض، 1991 .

ثانيا المراجع باللغة الأجنبية

20. Mckee (J.B) Introduction to Sociology, Michigan State University, 1969
21. Marie-Adeline,(sc), introduction à l'étude des toxicomanies, coll, sciences humaines, éd, nathan université, Paris, 1993